

المنتقى من كتاب آداب الشافعي ومناقبه
للحافظ عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧)

جَمَعَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

د. ضيف الله بن محمد العامري (الشمرواني)

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.
 أما بعد: فهذا (المنتقى من كتاب "آداب الشافعي ومناقبه" للإمام الحافظ عبد الرحمن بن
 أبي حاتم الرازي) جمعٌ فيه (٣٤) فائدة، وعلقتُ عليها في الحاشية بإيجاز.
 وقد كنتُ فيما سبق أنشر ما اخترته من فوائد الكتب دون تعليق عليها، ولكن بدا لي أن
 التعليق يبرز الفائدة، ويظهر حسننها، ويكشف عن كنوزها، ويوضح ما خفي منها،
 فاستحسنتُ ذلك، وانشرح صدري له.

وأسأل الله أن ينفع بما انتقيتُ وعلقتُ، ويتقبله بمنه وكرمه.

١. قال الإمام الشافعي: (جُعِلَتْ لَدِّي فِي هَذَا الْعِلْمِ وَطْلَبُهُ، حَتَّى رَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهُ مَا
 رَزَقَ)^(١). ص ٩٢

٢. قال الإمام الشافعي: (قَدِمْتُ عَلَى مَالِكٍ - وَقَدْ حَفِظْتُ الْمَوْطَأَ ظَاهِرًا - فَقُلْتُ: إِنِّي
 أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ الْمَوْطَأَ مِنْكَ. فَقَالَ: اطْلُبْ مِنْ يَقْرَأُ لَكَ. قُلْتُ: لَا عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَ
 قِرَاءَتِي، فَإِنْ سَهَّلَ عَلَيْكَ قَرَأْتُ لِنَفْسِي. قَالَ: اطْلُبْ مِنْ يَقْرَأُ لَكَ. وَكَرَّرْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ:
 اقْرَأْ. فَلَمَّا سَمِعَ قِرَاءَتِي قَالَ: اقْرَأْ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ)^(٢). ص ٩٦

٣. قال الإمام الشافعي: (أَنَا قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، وَكَانَ يَعْجَبُهُ قِرَاءَتِي).

قال الإمام أحمد: لأنه كان فصيحًا^(٣). ص ٩٧

٤. قال الإمام الشافعي: (تَمَنَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئَيْنِ: الْعِلْمَ وَالرَّمِي؛ فَأَمَّا الرَّمِي فَإِنِّي أَصِيبُ
 عَشْرَةَ مِنْ عَشْرَةٍ، وَالْعِلْمَ فَمَا تَرُونَ)^(٤). ص ٩٨

(١) من كان العلم لذته = شغل به ليله ونهاره، وعمر بمدارسته سائر أوقاته، وأعطاه كل اهتمامه.

ولا ينال المرء المراتب العالية في العلم - بعد توفيق الله وفتحه - إلا بذلك.

(٢) التودد إلى الشيخ المعلم، وكثرة الإلحاح عليه بأدب وذوق = من أعظم ما يُستخرج به العلم، وما حُرِمَ كثير من الطلبة
 الاستفادة من شيوخهم إلا بعدم معرفتهم كيفية التعامل معهم.

(٣) أهل العلم يحبون ممن يقرأ عليهم أن يكون فصيح اللسان، بعيداً عن اللحن.

(٤) في صحيح مسلم (١٩١٧): عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ

عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ.

قال الإمام النووي في شرحه: (فيه وفي الأحاديث بعده: فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل
 الله تعالى، وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح، وكذا المسابقة بالخيل وغيرها، كما سبق في بابه، والمراد
 بهذا كله: التمرن على القتال والتدرب والتحذق فيه، ورياضة الأعضاء بذلك).

٥. قال يحيى بن سعيد القَطَّان: (إني لأدعو الله للشافعي في كل صلاة، أو في كل يوم).
قال ابن أبي حاتم: يعني: لِمَا فتح الله عليه عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه.
ص ١٠٧

٦. قال الحَمِيدِي: (كنا نريد أن نرد على أصحاب الرأي، فلم نحسن كيف نرد عليهم،
حتى جاءنا الشافعي ففتح لنا)^(١). ص ١٠٧

٧. قال الإمام الشافعي: (متى سمعتني حدّثتُ بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
صحيح فلم آخذ به = فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب). ص ١٢٧

٨. كان الربيع على حوائج الشافعي، فرمما غاب في حاجة، فيعلم له، فإذا رجع الربيع قرأ
عليه ما فاتته^(٢). ص ١٢٩

٩. قال يونس بن عبد الأعلى: (ما رأينا أحداً لقي من السقم ما لقي الشافعي، فدخلتُ
عليه، فقال لي: يا أبا موسى: اقرأ عليّ ما بعد العشرين ومئة من آل عمران، وأخفّ
القراءة ولا تثقل، فقرأتُ عليه، فلما أردتُ القيام قال: لا تغفل عني فيإني مكروب)^(٣).

قال يونس: عَنَى الشافعي في قراءتي ما بعد العشرين ومئة: ما لقي النبي صلى الله عليه
وسلم وأصحابه، أو نحوه. ص ١٣٣

١٠. قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: (ما رأيتُ أحداً أقلَّ صباً للماء في تمام
التطهر من الشافعي)^(٤). ص ١٣٥

١١. قال الإمام أحمد: (كان الشافعي إذا ثبت عنده الخبر قلّده، وخير خصلة كانت فيه
لم يكن يشتهي الكلام، وإنما همته الفقه). ص ١٣٨

(١) للإمام الشافعي مِتَّة في أعناق أهل الحديث، فقد كان له فضل السبق في وضع القواعد والأصول لفقه النصوص
الشرعية وطرق استنباط الأحكام.

(٢) من كمال المروءة مراعاة الشيخ لطلابه المقربين الذين يخدمونه ويقومون بشؤونهم، وتخصيصهم باهتمام زائد.

(٣) هذه شيء مما ابتلي به الإمام الشافعي -رحمه الله-، وكذلك تجد كثيراً من أئمة العلم والدين لا تخلو حياة أحدهم
من شدائد ومصاعب وابتلاءات متنوعة، ولم يتنهم ذلك عن بلوغ المقامات العلى في العلم والعمل، فرحمهم الله
ورضي عنهم وسلك بنا سبيلهم.

(٤) من فقه المرء ونضح عقله: بُعده عن الإسراف في شأنه كله، وغالب الإسراف في ماء الطهارة ناتج عن جهل أو
وسوسة.

١٢. قال حميد بن أحمد البصري: (كنتُ عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله: لا يصح فيه حديث، فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي، وحجته أثبت شيء. ثم قال: قلتُ للشافعي: ما تقول في مسألة كذا وكذا؟ فأجاب فيها، فقلتُ: من أين قلتَ؟ هل فيه حديث أو كتاب؟ قال: بلى، فنزع في ذلك حديثًا للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو حديث نص^(١). ص ١٤١
١٣. قال إسحاق بن راهويه: (ما تكلم أحد بالرأي - وذكر الثوري والأوزاعي ومالك وأبا حنيفة - إلا والشافعي أكثر اتباعًا، وأقل خطأ منه). ص ١٤٣
١٤. قال الإمام الشافعي: (ما ناظرْتُ أحدًا فأحببتُ أن يخطئ، وما في قلبي من علم إلا وددتُ أنه عند كل أحد ولا يُنسب إلي^(٢)). ص ١٤٤
١٥. قال الإمام الشافعي: (كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي، وإن لم تسمعه مني^(٣)). ص ١٤٧
١٦. قال الإمام الشافعي: (إن أصبتم الحجَّة في الطريق مطروحة فاحكوها عني؛ فإني قائل بها). ص ١٤٧
١٧. قال الإمام الشافعي: (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)^(٤). ص ١٤٩
١٨. قال الربيع بن سليمان: (كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة، كل

(١) إنما عظمَ الإمام أحمد اجتهادات الإمام الشافعي؛ لعلمه بأنه منطلق فيها من النصوص، وليست محض رأي، ولما أشكل على الإمام أحمد شيء من كلام الإمام الشافعي سأله عن مأخذه، فبيّن له الإمام الشافعي أنه مستند إلى حديث، ومع ذلك فلم يكن الإمام أحمد مقلدًا للإمام الشافعي، بل له اجتهاده ونظره ومذهبه المستقل بناء على ما يراه من أدلة، ومع الفارق الكبير بيننا وبين هؤلاء الأئمة السادة الأعلام إلا أن ذلك لا يمنع من بيان المنهج الأمثل في التعامل مع مذاهبهم واجتهاداتهم، فالواجب علينا تعظيمهم وتبجيلهم والتأدب معهم، والموفق من سلك سبيلهم، وتعلم الفقه بواسطة مذاهبهم المحررة، لكن من غير ادعاء العصمة لهم مقالًا أو حالًا، ولا تعصب لمذاهبهم، بل يتحرى طالب العلم ما قوي دليله ولو خالف المذهب الذي درسه وتخرّج به، وهذا منهج وسط بين الإفراط والتفريط، وليس في ذلك تجرئة للناس على الاجتهاد والانفلات من قيود الشرع، بل غاية ما في الأمر أنهم سينتقلون إلى قول معتبر دليله أظهر، ويكون ذلك في الأغلب عمل بما استقرت عليه الفتيا عند علماء بلادنا.

(٢) هذه الخلال اللاتمة بمنزلة الإمام الشافعي، وهي علامة على كمال إخلاصه وغاية تجرده من حظوظ نفسه.

(٣) المراد من ذلك: تعظيمه للشيء وعدم تقدّمه عليها برأي أو قياس، ولا يُفهم من ذلك أن يُنسب إليه ما لم يقل به.

(٤) هذا بيان لفضل العلم وعظيم مكانته في الدين، وليس تزهيدًا في نوافل الطاعات.

ذلك في صلاة^(١). ص ١٥٣

١٩. قال الإمام الشافعي: (الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب

النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة)^(٢). ص ١٥٧

٢٠. قال الإمام الشافعي: (إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله)^(٣). ص ١٥٨

٢١. قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: (كان الشافعي أسخى الناس بما يجد، وكان

يمرّ بنا، فإن وجدني وإلا قال: قولي لمحمد إذا جاء يأتي المنزل، فإنني لست أتغدى حتى

يجيء)^(٤). ص ١٧٣

٢٢. قال الإمام الشافعي: (ليس من قوم لا يُخرجون نساءهم إلى رجال غيرهم في

التزويج، ولا رجالهم إلى نساء غيرهم في التزويج إلا جاء أولادهم حُمُق). ص ١٨١

٢٣. قال عبد الملك بن هشام: (الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة)^(٥). ص ١٨٤

٢٤. قال الإمام الشافعي: (أصحاب العربية جنُّ الإنس، يبصرون ما لا يبصر غيرهم)^(٦).

ص ١٩٤

٢٥. كان الشافعي ينهى النهي الشديد عن الكلام في الأهواء، ويقول: أحدهم إذا

خالفه صاحبه قال: كفرت، والعلم إنما يُقال فيه: أخطأت. ص ٢٣٠

٢٦. قال الإمام الشافعي: قالت لي أم بشر المريسي: كَلِّم المريسي أن يكف عن الكلام

(١) قال الحافظ ابن رجب في "لطائف المعارف" (ص ٣١٩): (إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على

المدائمة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان، خصوصًا الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر، أو في

الأماكن الفاضلة كمكة شرفها الله -لمن دخلها من غير أهلها-، فيُستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا

للزمان والمكان، وهذا قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم).

(٢) الاقتصاد في الأكل، وانتقاء جوده، والحذر من رديئه = حفظ للقلب والبدن.

(٣) إذا عظمت خشية الله في القلب، واستحضر الإنسان موقفه بين يدي الله = سهل عليه قول (لا أدري)، واطمأن

قلبه بما.

(٤) كأنَّ الإمام الشافعي جُلِّ على مكارم الأخلاق كلها، فلا تكاد تجده إلا في الذروة العليا من محاسن الأخلاق وكريم

الشماثل، فظاهر من هذا الموقف -مثلًا- أن الشافعي على طبيعته وسجيته، في موقف عابر لا تلاحظ فيه أدنى

تكلف.

(٥) أي: يُحتجُّ بلغته.

(٦) وأعظمهم حظًا من التوفيق: من سخَّر علمه باللغة وتبحره فيها لتدبر الوحي والاقْتباس من نوره وبيان إعجازه.

- والخوض فيه، فكلّمته في ذلك، فدعاني إلى الكلام!^(١) ص ٢٣٢
٢٧. قال الإمام الشافعي: (ما رأيتُ أحدًا من الناس فيه من آلة العلم ما في سفيان بين عينه، وما رأيتُ أحدًا أكفَّ عن الفتيا منه، وما رأيتُ أحدًا أحسنَ لتفسير الحديث منه)^(٢). ص ٢٥٤
٢٨. قال الإمام الشافعي: (كان شعبة إذا أتاه الرجل يسأله عن المسألة، سأله عن اسمه وموضعه وصناعته، ثم يجيبه في مسألته، ويجيء أصحابه فيلقونها على أصحابه، فإن أصاب فذاك، وإن أخطأ ذهب إليه، فقال: يا هذا الذي أفتيتك به ليس كما أفتيتك، الأمر كذا وكذا)^(٣). ص ٢٥٧
٢٩. قال الإمام الشافعي: (إن للعقل حدًّا ينتهي إليه، كما أن للبصر حدًّا ينتهي إليه)^(٤). ص ٣١١
٣٠. قال الإمام الشافعي: (سياسة الناس أشدُّ من سياسة الدواب). ص ٣١١
٣١. قال الربيع بن سليمان: (سمعتُ الشافعيَّ يقول لي: ما أحبُّك إليَّ)^(٥). ص ٣١٣
٣٢. قال الربيع بن سليمان: كان نقش خاتم الشافعي: الله ثقة محمد بن إدريس^(٦). ص ٣١٥
٣٣. قال الإمام الشافعي: (اعلم أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل؛ فانظر الذي فيه
-
- (١) تأمل شفقة أم المريسي على ولدها، وحرصها على هدايته، مع رغبته في الضلال، وسعيه فيه، وعدم استجابته للناصحين.
- (٢) غلب على العلامة محمد الأمين الشنقيطي في السنوات الأخيرة من حياته التحرز الشديد من الفتيا، والتباعد عنها، وكان إذا اضطره أحد للجواب قال: (لا أتحمّل في ذمتي شيئاً، العلماء يقولون كذا وكذا)، ولما سُئِلَ عن ذلك أجاب بقوله: (إن الإنسان في عافية ما لم يُبتَل، والسؤال ابتلاء؛ لأنك تقول عن الله ولا تدري أتصيب حكم الله أم لا؟ فما لم يكن فيه نص قاطع من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم = وجب التحفظ فيه). انظر: ترجمة الشيخ الأمين في مقدمة أضواء البيان (١/ ٣٧).
- (٣) استشعار مسؤولية الفتوى، وأمانة الكلمة، وخلو الذهن من حسابات الخلق الدنيوية = معانٍ تتجلى في هذا الموقف.
- (٤) فكما أنك لا تستطيع رؤية كل شيء بعينك، فكذلك لا تستطيع إدراك كل شيء بعقلك.
- (٥) كلمة يسيرة كان لها أعظم الأثر في نفس الربيع بن سليمان، فنقلها بصيغة تنبئك عن تلذذ سمعه بما كما طرب قلبه لها!
- (٦) تذكير دائم للنفس بالتوكل على الله وتفويض الأمور إليه.

صلاحيك فالزمه^(١). ص ٣١٧

٣٤. قال الإمام الشافعي: (لا تسكنن بلدًا لا يكون فيه عالم يفتيك عن دينك، ولا

طيب ينئك عن أمر بدنك)^(٢). ص ٣٥٨

(تم المنتقى من كتاب آداب الشافعي ومناقبه مع التعليق عليه)

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إعداد: د. ضيف الله بن محمد العامري (الشمرواني)

٢٣ / ١ / ١٤٤٠ هـ - ٢ / ١٠ / ٢٠١٨ م

(١) هذه من قواعد السعادة وأسس النجاح.

(٢) وفي ذلك طلب صلاح الدين والبدن.